



دلائل البيان لمعاني مفردات القرآن - "ظلمات"، و"عزيز"، و"مس"، و"نلزم" أنموذجًا-

/ محمدعلي ناجي المساوي

باحث وطالب دكتوراه جامعة صنعاء || كلية اللغات || مدرس لغة عربية || محافظة الحديدة || اليمن

E: alngg2013@hotmail.com || phone: 0967775878042

مستخلص الدراسة: هدفت الدراسة إلى تحليل أربع مفردات قرآنية، وهي: "ظلمات" و"مس"، و"عزيز"، و"نلزم"، ومناقشة تميزها في بيان مقاصد الآيات والسور، والبحث في قوة بيانها، ودقة مناسبتها، ومدى تصويرها للمعاني، وتجسيد أحوالها، واستخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم البحث بدراسة كل مفردة ثم تتبعها وحصرها في القرآن الكريم، وتحليل مكوناتها واستكشاف مضامينها البلاغية، مستفيدًا من لطائف الباحثين، والعلماء في ذلك. كما يفيد من المعطيات الجمالية والتركيبية اللغوية، واستكشاف حقائقها ودقائقها.

وقد توصلت نتائج الدراسة إلى التأكيد على أنّ القرآن الكريم وظّف معاني المفردة لتحقيق مقاصده البيانية، وإيصال المعنى للمتلقى، كما أكدت النتائج إمكانات المفردة القرآنية في دقة اختيارها، وتعميقها للدلالة، وتجسيدها للمعاني، وكذلك ظهر في أحوال النظم علاقة المفردة ببقية العناصر اللغوية في الصيغ المركبة، وقوة ارتباطها بها.

الكلمات المفتاحية: دلائل البيان. معاني مفردات القرآن. ظلمات. عزيز. مس. نلزم. أنموذجًا

The beauty and creation in the Holy Qura'an vocabulary

Abstract of the study: The study aimed to analyze four Quranic verses, namely: "Darkness," "Touch," "Aziz," and "We commit," and discuss its distinction in the statement of the purposes of the verses and the Surat, and the search for the strength of its statement, the accuracy of its suitability, Analytical descriptive, where the research study each item and then track and inventory in the Holy Quran, and analyze the components and explore the contents of rhetoric, taking advantage of the ranks of researchers, and scientists in it. As well as benefit from the aesthetic and linguistic data, and explore the facts and minutes.

The results of the study have confirmed that the Holy Quran used the meanings of the individual to achieve its objectives and to convey the meaning to the recipient. The results also confirmed the potential of the Qur'anic singularity in the accuracy of its selection, its depth of significance, and its embodiment of meaning. , And the strength of their association with them.

Keywords: Statement Directories. Meanings of the Quran. Darkness. Aziz. Touch. We commit.as a Model

أولاً- المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً (صلى الله عليه وسل) عبده ورسوله، وبعد:

إن القرآن الكريم هو الهادي إلى أقوم سبيل، وأوضح طريق، وما دونه هلاك وبوار، وتخبط وضياع، القرآن هو العز والذكر والشرف، أعز الله حامله فجعله أنموذج الكمال البشري وقمة السمو الإنساني، وروعة الارتقاء الفكري والروحي.

وبلاغة القرآن الكريم، لا يبلغ مداها بلاغة أي أسلوب آخر، ولقد كانت أساليبه مادة للبحث والدراسة لكثير من الباحثين، والعلماء، ومع كثرتها تبقى فضاءاته متسعة لمزيد من الدراسة والبحث، ومن ثم جعلت موضوع بحثي في القرآن الكريم والذي عنوانه (دلالات البيان لمعاني مفردات القرآن)، وخصصته في تحليل ودراسة أربع مفردات، وهي "مس، وعزيز، ونلزم، وظلمات"، ومن المسلم به أن المفردة الأدبية متميز، فهي في الأدب تلبس لبوساً فريداً مع شحنة روحية، مما يجعلها تتجاوز كونها أصوات مادة معجمية، وهي ترسم وتشخص وتجسم حالة شعورية، فتتسع دلالتها الإشارية الضيقة، وتحمل دلالة أخرى في حالة الاتساع⁽¹⁾، وقبل أن ندخل في البحث نوضح الآتي:

مشكلة البحث:

يعالج هذا البحث أهمية المفردة القرآنية ودقة اختيارها، وتعميقها للدلالة، وذلك لأن المفردة تختصر الكثير من الكلام، وتنم عن رفعة البيان القرآني وتلقي ظلالاً نفسية خاصة، لأنها تقوم بتجسيم المعاني وتحيلها إلى مشاهدات بعد أن تكون دفيناً مكنوناً.

ويمكن تحديد مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

- 1- ما أهمية المفردات القرآنية المذكورة، مع مناقشة تميزها في بيان مقاصد الآيات والسور.
- 2- ما سبب قوة بيانها، ودقة مناسبتها.
- 3- ما مدى تمكن المفردة من موقعها وتصويرها للمعاني، وتجسيد أحوالها.

أهداف البحث:

ويهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

- 1- تحليل المفردات القرآنية المذكورة، ومناقشة تميزها في بيان مقاصد الآيات والسور.
- 2- البحث في قوة بيانها، ودقة مناسبتها.
- 3- ما مدى تصويرها للمعاني، وتجسيد أحوالها.

حدود البحث:

يخصص البحث موضوعه في أربع مفردات قرآنية، وهي: "مس"، و"عزیز"، و"نلزم"، و"ظلمات"، إذ يقوم بتحليلها واستكشاف مضامينها البلاغية، وقوة بيانها وتأثيرها، مستفيداً من لطائف العلماء والباحثين في ذلك.

(1) ياسوف، أحمد (1992) جماليات المفردة القرآنية" في كتب الإعجاز والتفسير"، دار المكتبي، ط2، ص25.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث من أهمية الموضوع ذاته، ومن الأهمية البالغة في دراسة بلاغة القرآن الكريم، وفعاليتها في توصيل المعنى، وتحقيق التماسك لعناصر الآية، وجمال الشكل والمضمون، وجمعها بين قوة التأثير، وعضوته. وبذلك يتوقع أن تفيد نتائج البحث في التعريف بالجوانب البلاغية للقرآن الكريم وفتح آفاق واسعة لمزيد من الأبحاث لدلالات مفردات وآيات القرآن الكريم، والذي لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

ثالثاً- منهج البحث:

إن المنهج الذي سيأخذ به هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، إذ يقوم بتحليل وتوصيف عناصر النظام اللغوي، وتحديد مهام المفردة فيه، ثم ربطها بما تؤول إليه من دلالات ومعاني بيانية، وسوف يقوم بالآتي:

- 1- تحديد معاني المفردة في معاجم اللغة.
- 2- تحديد دلالات المفردة في كل موضع وردت فيه.
- 3- مناقشة لطائف البيان للمفردة، وقوة بيانها لمقاصد سياقها التي وردت فيه.

رابعاً- محتويات البحث:

تم تقسيم البحث على النحو الآتي:

أولاً- المقدمة

ثانياً- تحديد البحث.

ثالثاً- منهج البحث.

رابعاً- موضوعات البحث.

خامساً- خاتمة البحث، ومصادره ومراجعته.

التمهيد:

إن المفردة القرآنية تمتاز بحسن التأليف وروعة اللفظ، فتزيد المعنى بهاءً ورونقاً، كما أن من صفاتها الشمول والثبات، فهي كماء الحياة، وهي الموازين التي توزن بها قوانين الوجود كله. وإذا كانت "الكلمة قد جاءت في القرآن مرة واحدة، فالحياة كلها، على امتدادها، والوجود كله على امتداده، لا يمكن أن يكون بحاجة إلى كلمة أخرى، ما دامت الكلمة القرآنية قد "أحكمت" فجاءت موفية بالحاجة بحيث لا يحتاج لغير هذه الكلمة القرآنية الواحدة في سياقها أبداً. أما إذا كانت هناك حاجتان اثنتان لا ثالث لهما، فلا بد أن لهاتين الحاجتين، كلمتين منفصلتين، وإن كانت صيغتهما القولية واحدة"⁽²⁾، ولذلك "فالكلمة القرآنية مهما تعددت مواقعها فقد أتت مرة واحدة، والحاجات هي التي تكررت، بدليل أن القرآن، ليس به أي إضافة عددية لكلمة من كلماته، دون حاجة حقيقية يأتي ذكرها مفصلاً ومحكماً لا مكان معه لتكرارنا لكلامنا العادي"⁽³⁾.

هذه المفردة القرآنية لها أهمية في دراسة بلاغة القرآن الكريم، وفعاليتها في توصيل المعنى، وتحقيق التماسك لعناصر الآية، وجمال الشكل والمضمون، وجمعها بين قوة التأثير، وعضوته، وذلك لأن صيغة المفردة تختصر الكثير من الكلام، وتنم عن رفعة البيان القرآني وتلقي ظلالاً نفسية خاصة، لأنها تقوم بتجسيم المعاني وتحيلها إلى

(2) محمد العفيفي (1986)، القرآن تفسير الكون والحياة، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1، ص110، 196.

(3) محمد العفيفي، القرآن تفسير الكون والحياة ص246.

مشاهدات بعد أن تكونَ دفينَةً مكنونَةً ومشاعر ومجردات عن طريق إسباغ الصفات الآدمية على الجمادات، فتكتسب المفردة جمالاً مرئياً من حيث التصوير، وسمعيّاً من حيث متعة الأنغام، ونفسيّاً من حيث إمتاع الوجدان وموافقة المواقف"⁽⁴⁾.

وتبرزُ إمكاناتُ المفردة اللغوية في دقة اختيارها، وتعميقها للدلالة، والمتأمل في اللفظة القرآنية يجد تمكن كل لفظ من موضعها، بحيث لو استبدلت بغيرها لاحتل مفهوم السياق العام للنص الذي ورد فيه اللفظ"⁽⁵⁾، وكلمات القرآن ومفرداته متصلة ومتناسقة، لا حشوفها ولا تكلف، يحيط بها السمو، ويظللها الجمال.

كما يظهرُ من التركيب علاقةً المفردة ببقية عناصره، وتبرز طبيعة هذه العلاقة، كما تبرز دور المفردة في تجسيد المعاني المجردة، بما تثيره من أفكار، وتحث المتلقي في رسم ملامح تصويرية للمعاني، وكل هذه القيم المعنوية والتصويرية بفعل دلالات التركيب وتفاعل عناصره المختلفة"⁽⁶⁾، ومن ثم لم توضع الألفاظ عبثاً بل وضعت وضعا دقيقاً"⁽⁷⁾؛ لتعبرَ عن مقاصد السياق ومراده.

إنَّ القرآن الكريم يستعمل بنية الكلمة استعمالاً في غاية الدقة، فمن ذلك مثلاً استعمال الفعل والاسم، فالفعل يدلّ على الحدوث والتجدد"⁽⁸⁾، ولفظ "استجاب" أخص من لفظ "أجاب"؛ لأن استجاب يقال لمن قبل ما دعي إليه، وأجاب أعم، لأنه يقال لمن أجاب بالقبول وبالرد، قال الراغب الأصفهاني "الاستجابة هي التحري للجواب والتهيؤ له"⁽⁹⁾.

إنَّ نظم القرآن مادة فوق الصنعة ومن وراء الفكر وكأنها صببت على الجملة - صباً - إنك ترى بعض الألفاظ لم يأت إلا جمعاً ولم يستعمل منها صيغة المفرد، فإذا احتاج إلى هذه الصيغة استعمل مرادفها، كلفظ (اللب) فإنها لم ترد إلا مجموعة كقوله (تعالى): ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (43)﴾ (ص: 43)، وقوله (تعالى): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (21)﴾ (الزمر: 21)، وقوله (تعالى): ﴿وَلْيَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ (52)﴾ (إبراهيم: 52)، ولم تجيء فيه مفردة، بل جاء مرادفها في حالة الإفراد وهو لفظ (القلب)"⁽¹⁰⁾.

وسوف يخصص البحث دراسته لأربع مفردات لغوية، ويبرز ما يميزها في البلاغة والبيان، وهي "ظلمات، وعزيز، ونلزم، ومس"، وسوف نناقشها في الآتي:

أولاً- (الظُّلُمَاتِ):

الظُّلْمَةُ ضد النور، وهي بضم اللام لغة. وجمع الظلمة: (ظُلْمٌ وظُلُمَاتٌ وظُلُمَاتٌ وظُلُمَاتٌ) بضم اللام وفتحها وسكونها، وقد أَظْلَمَ الليل، والظُّلَامُ أول الليل والظُّلُمَاءُ الظلمة وربما وُصف بها يقال ليلة ظلماء أي مُظْلِمَةٌ و ظَلِمَ الليل بالكسر ظلاماً بمعنى أَظْلَمَ وأظلم القوم دخلوا في الظلام قال الله (تعالى): ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (37)﴾ (يس: 37)

(4) ياسوف، جماليات المفردة القرآنية"، ص327.

(5) عبد التواب، محمد لطفي (د.ت)، الاتجاه البلاغي في تفسير البيضاوي، ص80.

(6) (العبدلي، سعد، د. أمير فاضل (2011)، الترتيب والمتابعة، عالم الكتب الحديثة، أريد-الأردن، ط1، ص224.

(7) السامرائي، د. فاضل صالح (2010)، التعبير القرآني، دار عمار عمان، ط7، ص10.

(8) السامرائي، التعبير القرآني، ص21.

(9) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (1412هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار العلم الدار الشامية، دمشق. بيروت، تج:

صفوان عدنان داودي، ج1، ص210.

(10) حمدان، نذير (د.ت)، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دارالمنار جدة السعودية، ط1، ص198.

"(11)، وقد جاءت كلمة (الظلمات) على قسمين: الأولى في قوله (تعالى): ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: 63)، والمقصود بها ظلمة البحر والبر الحقيقي، والآخر في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: 9)، ويعبرُ بها عن الجهل، والشرك، والفسق كما يعبر بالنور عن خلاف هذه المعاني.

ونلاحظ أن هذا اللفظ ورد معرفًا بالإضافة في آية سورة النمل إلى لفظي "البر والبحر"، كما ورد معرفًا بالألف واللام في آتي سورة الحديد والأحزاب، وأن التعريف بالإضافة يعبر عن معاني واقعية، في مقابله تعبر هذه اللفظ المعرفة بالألف واللام عن معاني مجازية؛ وهذا الملمح اللغوي يتسق مع مواضع ذكر هذا اللفظ في القرآن الكريم" (12).

وقد ذكرت كلمة "الظلمات" معرفة بـ (الألف واللام) في القرآن الكريم أربع عشرة مرة في ثلاث عشرة آية، كما ذكرت كلمة "ظلمات" معرفة بالإضافة وغير معرفة ثماني مرات في ثماني آيات، وذكرت معرفة بـ "ال" في الآيات الآتية: في قول الله (تعالى): ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... من النور إلى الظلمات﴾ (البقرة: 257)، وقوله: ﴿ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه﴾ (المائدة: 16)، وقوله (تعالى): ﴿وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ (الأنعام: 1)، وقوله (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ (الأنعام: 39)، وقوله: ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ (الأنعام: 122)، وقوله (تعالى): ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ (الرعد: 17)، وقوله (تعالى): ﴿فَتَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء: 87)، وقوله (تعالى): ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (فاطر: 20)، وقوله: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ (إبراهيم: 1)، وكذلك قوله (تعالى): ﴿أَنْ أَخْرَجَ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (إبراهيم: 5)، وقوله (تعالى): ﴿هُوَ الَّذِي يَصْلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الحديد: 9)، وقوله: ﴿ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾ (الطلاق: 11).

وقد ذكر لفظ (ظلمات) ثماني مرات في ثماني آيات في المواضع الآتية: قال (تعالى): ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: 17)، وقوله (تعالى): ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 19)، وقوله (تعالى): ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: 59)، وقوله (تعالى): ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام: 63)، وقوله (تعالى): ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: 97)، وقوله (تعالى): ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لَيْلٍ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (النور: 40)، وقوله (تعالى): ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النمل: 11).

(11) الجواهري، إسماعيل بن حماد (1999) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، مادة (ظل).

(12) العبدلي، أميرفاضل سعد (د.ت)، التأويل البياني لأحوال نظم المعاني في القرآن الكريم، (كتاب مطبوع وهو قيد النشر).

63)، وقوله (تعالى): ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظَلَمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (الزمر: 6)، ومن هذه الآيات نلاحظ أن هذا اللفظ في مواضع ذكرها جميعا ورد بصيغة الجمع للفظ "الظلمات" وأفرد لفظ النور، وذلك لأن النور واحد، وله جهة واحدة، ومصدر واحد، وهو المصدر الإلهي، لقوله (تعالى): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُوْرٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور: 35)، أما الظلمات فقد ورد بصيغة الجمع؛ لأن مصادرها كثيرة حقيقية، كالليل وتكاثف السحب والخسوف والكسوف ومعنوية كالشيطان، والنفس وأصدقاء السوء...⁽¹³⁾ كما نلاحظ أن مواضع ورود لفظ "ظلمات" نكرة، تدل في الغالب على الظلمات الحقيقية، بينما المعرفة بالألف واللام – في الكثير منها - يفيد دلالة مجازية لهذه اللفظ.

أما الظلمات فقد تعددت أسبابها ومصادرها، كالشيطان، والأصنام والأوثان، والأهواء، ورفاق السوء؛ ولهذا تعددت الظلمات تبعاً لتعدد مصادرها⁽¹⁴⁾.

ومن بديع القرآن وحكمة استعماله للكلمات أنه جمع الظلمات وأفرد النور؛ إبرازاً للتناقض بينهما، حتى من حيث اللفظ، فالتناقض بين النور والظلمة له عدة أوجه، منها:

- تناقض المصدر والمبدأ، فالنور مصدره إلهي، والظلمات مصادرها الشيطان والهوى والطاغوت
- تناقض المعنى، فالنور يعني الإشراق، والهداية والإيمان، وكلها من عطاء الله، بينما الظلمات تعني الكفر والمعصية والجهل والعذاب، وكلها شرور تجرُّ إليها الشيطان والغواية والأهواء والضلال،
- تناقض لفظي؛ حيث جاء النور بصيغة المفرد، بينما جاءت الظلمات بصيغة الجمع.

ثانياً- العزیز:

العِزُّ: خلاف الدُلِّ. ومطر عِزٌّ، أي شديد. وعَزَّ الشيءَ يَعِزُّ عِزًّا وَعِزَّةً وَعِزَاةً، إذا قلَّ لا يكاد يوجد، فهو عِزِيٌّ⁽¹⁵⁾، العِزُّ ضدُّ الدُلِّ تقول منه عَزَّ يَعِزُّ عِزًّا بكسر العين فهما وَعِزَاةٌ بالفتح فهو عِزِيٌّ أي قوي بعد ذلة، وأَعَزَّهُ اللهُ وَعَزَّ الشيءَ فهو عِزِيٌّ إذا قل فلا يكاد يوجد وَعِزَّتْ عليه بالفتح كرمت عليه وقوله (تعالى) ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ يخفف ويشدد أي قويتنا وشددنا و تَعَزَّزَ الرجل صار عِزِيًّا⁽¹⁶⁾، والعِزَّةُ: حالة مانعة للإنسان من أن يغلب. من قولهم: أرضٌ عِزَّاةٌ. أي: صُلْبَةٌ. قال (تعالى): ﴿أَيُّتَّبِعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٌ﴾ (النساء: 139)"(17).

والعِزِيٌّ: من أسماء الله الحسنى، وهو القوي المنيع من العزة والمنعة التي هي ضدُّ الدُلِّ والهوان، وهو غالي، نفيس القدر، كريمٌ مصون لقول الله(تعالى) عن القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عِزِيٌّ﴾ (41) ﴿فصلت: 41﴾، وعِزِيٌّ الجَانِبُ: أي ذو قوة ومكانة وأثر، وعِزِيٌّ المَنَالُ: أي صعب البلوغ، وعِزِيٌّ النَّفْسُ: أي أبي، شريف كريم النَّفْسِ.

والعِزِيٌّ: ذو العزة والكبرياء، وتضمن اسمه "العِزِيٌّ" كلَّ صفات العزة وتماها وكمالها، ويشتمل اسم العِزِيٌّ المتضمن الصفات الكثير من المعاني نجدها في تدبر الآيات التي ورد فيها هذا الاسم وهو أفضل مصدر لمعرفة معنى

(13) داود، محمد محمد (2008)، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة، ج1، ص507.

(14) المطعني، (د.ت)، عبد العظيم ، خصائص التعبير القرآن ، ج 2، ص396، 397.

(15) (الجوهري، إسماعيل بن حماد (د.ت)، الصحاح (تاج اللغة العربية)تح: أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي، مصر ،مادة (عز).

(16)الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1982)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، مادة (عز).

(17)الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص 563.

هذا الاسم دون إقحام أو تقدير للمعاني، وهو الممتنع الذي لا يغلبه شيء، والعز في الأصل: القوة والشدة، والعزة: الرفعة والامتناع⁽¹⁸⁾، ومعناه الغالب الذي لا يقهر⁽¹⁹⁾.

ويدل على ثبوت صفة العزة له سبحانه قوله (تعالى): ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (يونس: 65)، وصفة العزة تدل على ثلاثة معان، كلها ثابتة لله وهي: "عزة القوة: الدال عليها من أسمائه القوي المتين. وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت. وعزة الامتناع: لأنه هو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضره فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه، بل هو الضار النافع المعطي المانع. وعزة القهر: والغلبة لكل الكائنات، فهي كلها مقهورة لله خاضعة لعظمته، منقادة لإرادته، فجميع نواصي المخلوقات بيده، لا يتحرك منها متحرك، ولا يتصرف إلا بحوله وقوته وإذنه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به"⁽²⁰⁾.

واسم الله العزيز يدل على كمال قوة الله (تعالى)، وامتناعه بنفسه سبحانه، وخضوع جميع المخلوقات لقهره، وتديبره، يفعل فيها ما يشاء ويختار لا يعجزه شيء، ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، فهو سبحانه يُدبر ولا يُدبر، يُجري ما شاء على من شاء ولا يمتنع من أمره، ولا يتعقبه في حكمه أحد، فسبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم⁽²¹⁾. وقد تكرر اسم الله العزيز في القرآن الكريم تسعاً وتسعين مرة متصلاً ب(ال) ومن دون (ال)، كما اقترن هذا الاسم بالرحمة في فواصل الآيات ثلاث عشرة مرة، ومع الحكيم سبعة وأربعين مرة، ومع العليم ست مرات، ومع الحميد ثلاث مرات⁽²²⁾، وسنأتي إلى تفصيل ذلك.

(العزيز) كان الابتداء به بالآية الأولى مطلعاً لخمس سور قرآنية، وكان اسمُ العزيز يسبق ترتيباً اسم الحكيم في كل الآيات، كمثل قوله (تعالى): ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)﴾ (الزمر: 1) والسور هي: (الزمر، الحديد، الحشر، الصف، الجمعة)، كذلك أخذت الموقع الثاني في ثلاث سور أخرى كمثل قوله (تعالى): ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (2)﴾ (الجاثية: 2)، (فاطر: 2)، (الأحقاف: 2).

والحكيم: اسم من أسماء الله الحسنى، يدل على اتصاف الله (تعالى) بالحكمة في شرعه وقدره، والحكم بين المخلوقات...⁽²³⁾

وقد ورد اسما العزيز مع الحكيم في سبع وأربعين مرة، متصلاً ب(ال) ومن دون (ال)، وكان اسم العزيز يسبق في ترتيبه اسم الحكيم في كل الآيات، ومن هذه الآيات قوله (تعالى): ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: 6) وقوله (تعالى): ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: 38).

والعزة تتطلب الحكمة: إن تلازم اسم العزيز باسم الحكيم مع حفظ الترتيب القرآني لأسبعية العزيز فذلك يدل المتدبر على أن الحكمة صفة أساس من متطلبات العزة ولا عزة بلا حكمة.

العزيز الرحيم: ورد اسما العزيز مع الرحيم في ثلاث عشرة آية قرآنية وكان اسمُ العزيز يسبق في ترتيبه اسم الرحيم في كل الآيات، وهي: في سورة الشعراء في تسعة مواضع، هي قوله (تعالى): ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾

(18) ابن منظور (1998)، لسان العرب (1998)، تح: على سيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط، مادة (عزز).

(19) إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط. دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية، مادة (عزز).

(20) السعدي (د.ت)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، ص946.

(21) ابن منظور (1998)، لسان العرب، مادة (عزز).

(22) عبد الباقي، محمد فؤاد (2001)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط: دار الحديث- القاهرة، مادة (عزز).

(23) الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن (د.ت)، الأمثال القرآنية القياسية، ج6، ص241.

(الشعراء: 9، 68، 104، 122، 140، 149، 175، 217، 19)، وقوله (تعالى): ﴿يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5)﴾ (الروم: 5)، وقوله (تعالى): ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6)﴾ (السجدة: 6)، وقوله (تعالى): ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (5)﴾ (يس: 5)، وقوله (تعالى): ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (42)﴾ (الدخان: 42). إنَّ سورة الشعراء انتظمت أحداثها وأجزاؤها كلها لتحقيق دلالة الرحمة والعزة لله (تعالى) في صياغة مكرورة تنتظم من أولها إلى آخرها، فبدأت في قوله (تعالى): ﴿طس... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (8) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (9)﴾ (الشعراء: 9)، ثم أخذت هاتان الآيتان الأخيرتان تتكرران وتوجهان أحداث السورة ومكوناتها تجاه المقصد والفكرة العامة للسورة كلها، فبعد تفصيل قصة موسى مع فرعون، وخروجه بقومه ونجاتهم ورد في قوله (تعالى): ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (68)﴾ (الشعراء: 65-68)، ثم بعد قصة إبراهيم وقومه، يرد في قوله (تعالى): ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (139) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (140)﴾ (الشعراء: 139-140)، وبعد عرض قصة نوح وقومه وتفصيل مجريات الأحداث يرد في قوله (تعالى): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (121) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (122)﴾ (الشعراء: 121-122)، وبعدها قصة عاد مع قومه ثم ترد في قوله (تعالى): ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)﴾ (الشعراء: 158-159)، وبعد عرض قصة ثمود مع قومه ترد في قوله (تعالى): ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (174) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (175)﴾ (الشعراء: 174-175)، وبعد عرض قصة أصحاب الأيكة مع نبهم يرد في قوله (تعالى): ﴿قَالَ رَبِّي عَلَّمَ بِنَا تَعْمَلُونَ (188) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ عَظِيمٌ (189) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (190) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (191)﴾ (الشعراء: 188-191).

وبعد عرض قصة لوط ترد في قوله (تعالى): ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (214) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (215) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (216) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217)﴾ (الشعراء: 214-217). وأخيراً تختتم السورة بمخاطبة النبي وموقف قومه من دعوته، كما بدأت السورة، ثم يوجه بقوله (تعالى): ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ*وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ*فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ*وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (الشعراء: 214-217).

وهكذا فالسورة تنظر للأحداث وقصة الإنسان في تاريخه القديم مع الرسل من زاوية الرحمة بإرسال هؤلاء الرسل، والعزة الغالبة في الانتقام من المستكبرين والمعرضين عن أمر الله⁽²⁴⁾. ومن الأسرار التي ذكرها صاحب الإتيان لاقتران العزة بالرحمة في الآيات القرآنية، أن العزة على من لم يؤمن والرحمة لمن آمن⁽²⁵⁾.

ومن اللطائف لهذا الاقتران بيان أن الرحمة بالخلائق نابعة من العزة والقوة، فهو سبحانه وتعالى قادر على قهر من يعصيه بعزته وينصر من يطيعه برحمته.

إنَّ تكرار قوله (تعالى): ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، تسع مرّات في سورة الشعراء، وأولها جاءت عقب بيان تكذيب الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وبما جاء به عن ربه، ثم جاءت كلُّ مرّة من المرّات الباقيات عقب

(24) العبدلي، د. أمير فاضل سعد (2008)، غرائب الصورة القرآنية، دار الكتاب الثقافي (الأردن)، ص 22.

(25) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت: 911هـ)، الإتيان في علوم القرآن، ج 2، ص 113.

عرض قصبة من قصص المكذبين الأولين، فكان لكل مرة منها داعيتها من القصبة التي جاءت قبلها، فإذا تعدد المقتضي حسن إعادة ذكر العبارة نفسها⁽²⁶⁾.

وهذا الكم من الآيات نجد الدلالة على صفة آخر من متطلبات العزة وهو الرحمة المطلقة ولا يكون العزيز عزيزا لا اسما ولا صفة إن لم يكن رحيمًا، فسبحان العزيز الرحيم القائل " وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ " (الأعراف: 156).
ثالثاً: أنلزمكموها: لَزِمْتُ الشَّيْءَ أَلْزَمُهُ لُزُومًا، وَلَزِمْتُ بِهِ وَلَازِمْتُهُ. وَاللِّزَامُ: الْمَلْزَمُ⁽²⁷⁾، المفردة القرآنية ﴿أَنْلِزْمُكُمْوَهَا﴾، فعلها الماضي لَزِمَ، ولزوم الشيء طول، وقد تكررت هذه المفردة ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة مواضع، الموضع الأول: لفظ (أَنْلِزْمُكُمْوَهَا)، وذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة هود في قوله (تعالى): ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي فَعَمَيْتَ عَلَيْكُمْ أَنْلِزْمُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ (هود: 28)، والثاني: لفظ (أَلْزَمْنَا)، وذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الإسراء في قوله (تعالى): ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (الإسراء: 13)، والثالث: لفظ (لِزَامًا)، وذكرت في القرآن الكريم مرتين الأولى في سورة طه في قوله (تعالى): ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ (طه: 129)، والآخر في سورة الفرقان في قوله (تعالى): ﴿قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (الفرقان: 77)، والموضع الرابع والأخير: لفظ (الز)، وذكرت في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الفتح في قوله (تعالى): ﴿وَأَلْزَمْنَاهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الفتح: 26).

إنَّ في قوله (تعالى): ﴿فَعَمَيْتَ عَلَيْكُمْ أَنْلِزْمُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ تصور جو الإكراه ومعناها المباشر وتصويرها بجرسها وأدائها جو الإكراه هو الباعث على تخييرها على صيغة الفعل المضارع متصلًا بثلاثة ضمائر، وهذا وإن أدى إلى جهد في نطقها، فإنَّ هذا الجهد مطلوبٌ ليستشعر من ينطقها مدى ما يبذل من جهد في الإلزام والإكراه الذي ينكره هود (عليه السلام)، هذه المفردة القرآنية ﴿أَنْلِزْمُكُمْوَهَا﴾، الشيء بالشيء دائمًا يقال: لزمه الشيء يلزمه. واللزام: العذاب الملازم للكفار⁽²⁸⁾، والإلزام ضربان: إلزام التسخير من الله (تعالى)، وإلزام بالحكم والأمر. في كلمة ﴿أَنْلِزْمُكُمْوَهَا﴾ ثلاثة مضمرات: ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب وهو أحسن ترتيبًا: بدأ بالمتكلم لأنه أخص بالفعل ثمَّ بالمخاطب ثمَّ بالغائب ولو جيء بالغائب أولاً لانفصل الضمير وجوبًا⁽²⁹⁾.
والاستفهام في قوله (تعالى): ﴿أَنْلِزْمُكُمْوَهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ للإنكار والنفي، والمعنى إذا كانت الهدية إلى الخير التي جئتكم به قد خفيت عليكم مع وضوحها وجلالتها، فهل أستطيع أنا وأتباعي أن نجبركم إجبارًا، على التصديق بنبوتي وعلى الإيمان بي، والحال أنكم كارهون لها، كلاً إننا نستطيع ذلك لأن الإيمان الصادق يكون عن اقتناع واختيار لا عن كره وإجبار⁽³⁰⁾.

(26) حبنكة، عبد الرحمن بن حسن الميداني دمشقي (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996 م، ص523.

(27) الجوهري، (د.ت)، الصحاح (تاج اللغة العربية)، مادة (لزم).

(28) ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (1972) معجم مقاييس اللغة، تج: عبدالسلام محمد هارون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مادة (لز).

(29) ابن عادل الحنبلي، ابو حفص عمر بن علي (د.ت)، تفسير اللباب في علوم الكتاب، ص10.

(30) طنطاوي (د.ت)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج7، ص193-194.

أثر دلالة جرس هذه المفردة على المعنى: فأنت تحس أننا نطق كلمة ﴿أَنْلَزِمُكُمُوهَا﴾ بهذه الصيغة ما يوجي بالإكراه بسبب إدماج كل هذه الضمائر في النطق وشد بعضها إلى بعض كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويشدون إليه وهم نافرون وهكذا يبدو التناسق في التعبير أعلى من البلاغة الظاهرية، وأرفع من الفصاحة اللفظية⁽³¹⁾. ونستطيع أن نتلمس جمال هذه المفردة بأن نقرر بأن فيها سمة الاختزان، لأن صيغتها تعني وجود مفعولين من أجل موافقة نبرة الغضب التي تتطلب السرعة.

وكأن غرابة استعمال هذه المفردة على هذا الشكل يمثل غرابة الموقف الإلهي فإنه - عز وجل- لا يجعل الإيمان فعلاً قسرياً كالتنفس والنوم، مما ينفي إرادة البشر ويحط من كرامتهم. فالإيمان لا يكون إلا محض اختيار⁽³²⁾.

إن نطق هذه المفردة على حالتها التي بنيت عليها فيه من الثقل ما يوجي بالثقل وصعوبة التحمل والإكراه على حمل شيء ينفر منه المدعو ويستثقل حمله وتشمئز من نفسه.

ولو جئنا نفسر هذا الثقل في هذه الصيغة لوجدناه يأتي من نواح عدة منها: إضمار المفعولين وإدماجهما معاً ما يجعل هنالك شداً وإدماجاً في عملية النطق، وكذلك ينشأ هذا الثقل من طريقة ترتيب حروفها واختلاف مخارجها حتى كأن اللسان يصيبه الإعياء، ويمسه اللغوب وهو ينتقل بين هذه المخارج؛ الأمر الذي يشعر بالثقل. الاستفهام في ﴿أَنْلَزِمُكُمُوهَا﴾، للإنكار التكذيبي: "ولكنك إذا عاودتها تجد أنها لم تفصح بمعنى أن ذلك لن يكون - كما تقول في تفسيرها- وإنما أثارت تساؤلاً، وأحالتنا إلى نفوسنا لتدبر الموقف كله، هل مما يتفق مع شرائع السماء التي جاءت لتكريم الإنسان، وإنهاض عقله، وطرح كل قيد يثقل حريته وإرادته أن تلزم الإنسان بفكر واعتقاد يكرهه، ولو كان هذا الفكر وهذا الاعتقاد هو الخير والصواب؟! حرية الإنسان في قانون السماء أقدس من أن يضحي بها في سبيل غاية ولو كانت هذه الغاية هي بالقطع فلاح الدنيا والآخرة، السماء تقول: يجب أن يكون عقل الإنسان حرّاً، وضمير الإنسان حرّاً، ووجدان الإنسان حرّاً، ولو كان ثمن ذلك كفره بالذي منحه هذا العقل، وهذا القلب، وهذه الحياة وهذا موقف مذهل إذا أمعنت فيه"⁽³³⁾.

ثم يؤكد ذلك فيقول: "فقه طبيعة الشرائع وموقفها من إرادة الفرد، واحترامها لعقله الراض لها يجعلنا نقرر أن ذلك لن يكون - أعني إلزامنا بالآيات البيّنات- وإن كانت رحمة من عنده - سبحانه- ما دامت عميت على ضمير الإنسان، وعقله.

رابعاً: مسّ: مسّ الشيء يَمَسُّهُ بالفتح مسّاً وهذه هي اللغة الفصيحة، وفيه لغة أخرى مسّت الشيء يحذفون منه السين الأولى ويحولون كسرتها إلى الميم ومنهم من لا يُحوّل ويترك الميم على حالها مفتوحة ونظيره قوله (تعالى): ﴿فَلَمَّا تَفَكَّهُونَ﴾ تُكسر وتُفتح وأصله ظللت وهو من شواذ التخفيف، وأمسّه الشيء فَمَسَّهُ و المَسِّسُ المَسُّ و المُمَاسَّةُ كناية عن المباضعة وكذا التَّمَاسُّ قال الله تعالى ﴿من قبل أن يَتَمَاسَّا﴾ وقوله تعالى ﴿لَا مَسَاسَ﴾ أي لا أَمَسُّ ولا أَمَسُّ وبينهما رحم مَاسَّةُ أي قرابة قريبة وحاجة مَاسَّةُ أي مُهَيَّمة وقد مَسَّتْ إليه الحاجة⁽³⁴⁾.

والمسّ: هو جَسِبَ الشيء باليد، والممسوس: الذي به مس كأن الجن مسته، والممسوس من الماء ما نالته الأيدي⁽³⁵⁾.

(31) قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (د.ت)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط7، ص92.

(32) ياسوف، جماليات المفردة القرآنية"، ص185.

(33) أبو موسى، د. محمد (د.ت)، دلالات التراكيب، ص257، 258.

(34) الرازي، (1982)، مختار الصحاح، مادة (مسس).

(35) معجم مقاييس اللغة، مادة (مسس).

تكررت مادة (مس) في القرآن الكريم في واحد وستين موضعاً، من ذلك قوله (تعالى): ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83)﴾ (الأنبياء: 83).

(ومس) بأزيمها وصوتها المهموس، ونغمها الرقيق، نتيجة لتضعيف حرف الصفيير، أو التقاء حرفيه متجاورين كقوله (تعالى): ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ (النور: 35).

هذه المادة في رقتها صوتياً، وشدتها دلالياً، تجمع بين جرس الصوت الهادئ، وبين وقع الألم الشديد، فلمس يطلق عادة- ويراد به كل ما ينال الإنسان من أذى ومكروه في سياق الآيات الأتية: قال (تعالى): ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ (آل عمران: 140)، وقال (تعالى): ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾ (الروم: 33)، وقال (تعالى): ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ (الزمر: 49)، وقوله (تعالى): ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ﴾ (هود: 10) وقوله (تعالى): ﴿وَلَيْنَ مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ (الأنبياء: 46)، (هود: 10)، وقوله (تعالى): ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: 68). فهذه الصيغ المختلفة من المادة، وردت للدلالة على شدة البلاء، ورفع المصاب، وفرط الأذى، واللفظ فيها رقيق رقيق، ولكن المعنى شديد غليظ، وللدلالة على هذا الملحظ، فقد وردت المادة في صوتها الرقيق مقترنة بالمس الرقيق لاستخلاص الأمرين في حالتي السراء والضراء، الشر والخير، كما في كل من قوله (تعالى): وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ (الأعراف: 95)، وقوله (تعالى): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21)﴾ (المعارج: 21).

فالضراء تمسهم إذن، والسراء تمسهم كذلك، والشر يمسه والخير كذلك، ولم يشأ القرآن العظيم تغيير المادة بل اللفظ عينه في الحالتين، وذلك للتعبير عن شدة الملامسة والاتصاق، وكما ورد اللفظ في مقام الضر منفرداً في أغلب الصيغ، ورد مثله جامعاً لمدركي الخير والشر، فقد ورد للمس الجميل خاصة في قوله (تعالى): ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ (آل عمران: 120).

وفي الآية من المحسنات البديعية ما يسمى (بالمقابلة) وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (آل عمران: 120). حيث قابلت الحسنة بالسئنة والمساءة بالفرح وهي مقابلة بديعة. لطيفة: عبر بالمس في قوله ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ﴾ وبالإصابة في قوله: ﴿وَإِنْ تَصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ وذلك للإشارة إلى أن الحسنة تسوء الإعداء، وحتى ولو كانت بأيسر الأشياء، ولو مساً خفيفاً، وأما السئنة فإذا تمكنت الإصابة بها إلى الحد الذي يرثي له الشامت فإنهم لا يرثون، بل يفرحون ويسرون، وهذا من أسرار بلاغة التنزيل، فلفظ الإصابة يدل على تمكن الوقوع بخلاف المس⁽³⁶⁾.

وينقل هذا اللفظ بدلائله إلى معانٍ أخرى، لا علاقة لها بهذا الحديث دلاليًا، وإن تعلق به صوتياً، كما في إشارة القرآن إلى المس بمعنيين مختلفين آخرين.

الأول: كنى فيه بالمس عن النكاح في كل من قوله (تعالى): ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ (مريم: 20)، وقوله (تعالى): ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ (البقرة: 236)، والآخر: وعبر فيه بالمس عن الجنون كما في قوله (تعالى): ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة: 275). واجتمعت كلها في طبيعة الصوت⁽³⁷⁾.

(36) الصابوني،: محمد علي الصابوني (1981)، صفوة التفاسير، ط2، دار القرآن الكريم، بيروت، ج 1 ص 145.

(37) الصفيير، محمد حسين (د.ت)، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ص 183-185.

وقد تنبه الزمخشري إلى جمال المس في الآية الكريمة في قوله (تعالى): ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (مريم: 20)، حيث جعل المسّ عبارة عن النكاح الحلال، حكاية عن مريم عليها السلام، لأنه كناية عنه، وقوله (تعالى): ﴿أَوَلَمْ تَسْتُمِ الْنِسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ (النساء: 43)، والزنى ليس كذلك، وإنما يقال فيه: فجر فيها، وخبث، وما أشبه ذلك، وليس بقمين أن ترعى فيه الكنایات والآداب⁽³⁸⁾.

ذلك أنّ العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة يكتفى عنها بالمسّ والملامسة، ولا يكون هذا في الزنى، ويجب أن نضيف أن البيان القرآني لم ينجح إلى هذه الجمالية معتمدا على الفروق اللغوية، في تصريحه في الزنى، ويلمح في النكاح المشروع، فقد عبر القرآن عن أبشع الزنى الذي ابتلي به قوم لوط بكلمة تتسم بالظلال، فتقرأ على لسانهم. وقوله (تعالى) ﴿مالنا في بناتك من حق﴾، حيث عبرت كلمة (حق) عن قمة الهياج عند قوم لوط، والكلمة على أخلاقيتها التي تطفئ معنى الشبق، كما تدل على ثقة هؤلاء الماجنين بأنفسهم وإمعانهم في الضلال، فهم أصحاب حق كما يرون.

خامساً- الخاتمة:

نؤكد في ختام البحث على أن المفردة القرآنية لها أهمية في بلاغة القرآن الكريم، وفعاليتها في توصيل المعنى وجمال الشكل والمضمون، وجمعها بين قوة التأثير، وتوصيل المعنى، وذلك لأن صيغة المفردة تختصر الكثير من الكلام، وتنم عن رفعة البيان القرآني وتلقي ظلالة نفسية خاصة، لأنها تقوم بتجسيم المعاني وتحيلها إلى مشاهدات بعد أن تكون دفينه مكنونه ومشاعر ومجردات عن طريق إسباغ الصفات الأدمية على الجمادات، فتكتسب المفردة جمالاً مرثياً من حيث التصوير، وسمعيًا من حيث متعة الأنعام.

وتبرز إمكانات المفردة اللغوية في دقة اختيارها، وتعميقها للدلالة، والمتأمل في اللفظة القرآنية يجد تمكن كل لفظ من موضعها، بحيث لو استبدلت بغيرها لاختل مفهوم السياق العام للنص الذي ورد فيه اللفظ"، وكلمات القرآن ومفرداته متصلة ومتناسقة، لا حشو فيها ولا تكلف، يحيط بها السمو، ويظللها الجمال. كما تبرز دور المفردة في تجسيد المعاني المجردة، بما تثيره من أفكار، وتحث المتلقي في رسم ملامح تصويرية للمعاني، وكل هذه القيم المعنوية والتصويرية بفعل دلالات التركيب وتفاعل عناصره المختلفة"، ومن ثم لم توضع الألفاظ عبثاً بل وضعت وضعا دقيقاً؛ لتعبر عن مقاصد السياق ومراده.

التوصيات والمقترحات:

1. إقامة المؤتمرات والندوات العلمية المتخصصة عن المفردة وأهميتها ودورها.
2. حث أهل الاختصاص، وكذا الجهات ذات العلاقة في المشاركة الفاعلة في تأليف الكتب، وإصدار المجلات المتخصصة في المفردة.
3. فتح مواقع علمية إلكترونية لهذا الغرض.
4. إجراء دراسات مماثلة لمفردات أخرى، وبيان دلالاتها وسبل الاستفادة منها في واقع المسلمين اليوم.

(38) الزمخشري (1997)، تفسير الكشاف، تج: عبد الرزاق المهدي دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج3، ص9.

سادساً- المصادر والمراجع:

- أولاً- القرآن الكريم.
- ثانياً- الأدب والإعجاز القرآني والتفاسير.
- إبراهيم مصطفى(د.ت)، المعجم الوسيط . دار الدعوة، تج: مجمع اللغة العربية.
- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا(1972) معجم مقاييس اللغة، تج: عبدالسلام محمد هارون، ط2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
- ابن منظور(1998)، لسان العرب، تج: على سيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت..
- الجربوع(د.ت)، عبد الله بن عبد الرحمن، الأمثال القرآنية القياسية.
- الجواهري، إسماعيل بن حماد (1999) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط3.
- حبنكة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي (ت: 1425هـ)، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996م.
- حمدان، نذير(1991)، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنار جدة السعودية، ط1.
- داود، محمد محمد(208)، معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، دار غريب، القاهرة.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر(1982)، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت.
- الزمخشري، (1997) تفسير الكشاف، تج: عبد الرزاق المهدي دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1.
- السامرائي، فاضل صالح(2010)، التعبير القرآني، دار عمار عمان، ط7.
- السعدي(د.ت)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.
- السيوطي(د.ت)، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن.
- الصحاح (تاج اللغة العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري (د.ت)، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر ابن عادل الحنبلي، ابو حفص عمر بن علي(د.ت)، تفسير اللباب في علوم الكتاب.
- الصغير، محمد حسين(د.ت)، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان.
- عبد التواب، محمد لطفي(د.ت)، الاتجاه البلاغي في تفسير البيضاوي.
- عبدالباقى، محمد فؤاد(2001)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث- القاهرة.
- العبدلي، أمير فاضل سعد(2008)، غرائب الصورة القرآنية، دار الكتاب الثقافي (الأردن).
- العبدلي، أمير فاضل سعد(د.ت)، التأويل البياني لأحوال نظم المعاني في القرآن الكريم، (مطبوع قيد النشر).
- العبدلي، أمير فاضل(2011)، الترتيب والمتابعة، عالم الكتب الحديثة، أريد-الأردن، ط2.
- العفيفي، محمد(1976)، القرآن دعوة حق، مقدمة في علم التفصيل القرآني، المطبعة المصرية. الكويت، ط2.
- العفيفي، محمد(1986)، ، القرآن تفسير الكون والحياة، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1.
- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (د.ت)، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط17.
- المطعني(د.ت)، ، عبد العظيم، خصائص التعبير القرآن.
- ياسوف، أحمد(1992)، جماليات المفردة القرآنية" في كتب الإعجاز والتفسير"، دار المكتبي، ط2.